تم تحميل هذا المقال من منتديات المغرب الأقصى الإسلامية www.akssa.org

السلطان مولاي عبد العزيز بن الحسن العلوي رحمه الله

للدكتور محمد تقي الدين الهلالي

التمست مني ادارة مجلة «دعوة الحق» الغراء كعادتها كل سنة منذ زمان طويل كتابة مقال ينشر في العدد الخاص بعيد العرش العلوي المجيد. واقترح علي أن يكون المقال في سيرة السلطان المكرم مولاي عبد العزيز ابن الحسن بن محمد بن عبد الرحمن قدس الله ارواحهم . ولم أدر أين أجد ترجمة هذا الملك مع اني لقيته مرارا وتحدثت معه في مجالس خاصة بطنجة فكلمت بالهاتف صديقي الاستاذ عبد الوهاب بن منصور مؤرخ المملكة وسألته أين أجد ترجمة وافية للسلطان المذكور . فأملى علي كلمة مختصرة مفيدة في مولد صاحب الترجمة ووفاته أستفتح بها هذا المقال .

ولد السلطان مولاي عبد العزيز بن الحسن العلوي سنة 1298 . وأمه شركسية اسمها السيدة رقية جلبها الحاج العربي بريشا التطواني احد خاصة السلطان مولاي الحسن والد صاحب الترجمة ، وبويع مولاي عبد العزيز بعد وفاة والده السلطان مولاي الحسن رحمه الله سنة 1311 وعمره اذ ذاك نحو اربع عشرة سنة وتنازل عن العرش لاخيه السلطان مولاي عبد الحفيظ في شهر رمضان سنة 1326 . وكانت وفاته في صبيحة يوم ثامن جمادى الثانية سنة 1362 ونقل الى فاس فدفن بضريح جده مولاي عبد الله .

وقال لي مؤرخ المملكة الاستاذ عبد الوهاب بن منصور : لا أعرف كتابا يشتمل على ترجمة السلطان مولاي عبد العزيز . ولكن كثيرا من اخباره مذكور في ترجمة أحمد بن موسى الوزير في تاريخ مكناس لمولاي عبد الرحمن بن زيدان في الجزء الاول منه فتوجهت الى خزانة مكتب البلدية بمكناس ، وسألت مديرها السيد احمد اجانا . ان يعيرني الجزء الاول من الكتاب المذكور . فاعتذر لي عن اعارة الجزء الاول لانه مفقود ، وقال لي يمكنك ان تطالعه هنا وأمرت تلميذي محمد بن سلام ، ان يبحث عن ترجمة احمد ابن موسى الوزير فوجدناها مطولة وفيها كثير من اخبار المولى عبد العزيز ولكنها تنقصها مبعثرة ، ويستفاد من هذا الكتاب ان الوزير احمد بن موسى كان مسيطرا على السلطان مولاي عبد العزيز وهو الذي كان يحكم المغرب باسمه لصغر سنه وعدم استعداده وكان رجلا جازما ذا علم وذكاء وتمسك بالدين الحنيف . وهو الذي بايع السلطان مولاي عبد العزيز بدون استشارة العلماء والاعيان كما جرت به العادة نص على ذلك مؤلف كتاب تاريخ العالم الحديث المقرر تدريسه في المدارس الثانوية المغربية وكان زمان تولي هذا السلطان مملوءا بالفتن والثورات . منها ثورة الريسوني في الشمال وثورة ماء العينين في

الجنوب ، والثورة العظمى التي هي ادهى وأمر ثورة الجلاني الزرهوني الملقب بأبي حمارة . وفي تاريخ مكناس انه لقب بذلك لانه كان في اول امره يركب أتانا وكانت ثورته في القسم الشرقي من المملكة وقد هزم جيش الحكومة هزائم فظيعة متوالية . وثورته هذه هي التي اضعفت الدولة المغربية واوصلتها الى الحضيض . ومهدت الطريق لدول الاستعمار الاوربي وكانت الدولة الفرنسية مصممة على نصب الحبائل لاستعمار المغرب فبدأت التدخل في شؤونه باستغلال ناحية الضعف الشديد في الدولة المغربية وهي الناحية المالية فان اموال الدولة المغربية كانت تتألف من الزكاة واخذ العشر من الحبوب فعرض الفرنسيون قروضا على الدولة المغربية لينقذوها بزعمهم من ضيقها المالي واقترحوا على السلطان ان يستبدل اخذ الاعشار والزكاة بفرض جباية ضرائب على الممتلكات من المواشي والبهائم والاراضي الزراعية وبضائع التجار المستوردة وغير ذلك ولكن الدولة كانت عاجزة عن اخذ الضرائب القديمة والجديدة على السواء بسبب اختلال الامن في كل مكان وعجز الجيش المغربي عن اخماد الثورات وتعميم الامن فكان الفرنسيون وغيرهم من الاوربيين اذا قتل الثوار او اللصوص واحدا منهم طالبوا وزارة المالية المغربية بدية فادحة ثقيلة ومقصودهم افقار الدولة المغربية لتشتد حاجتها الى المال ثم يعرضوا عليها المساعدة المالية ويتولوا هم بانفسهم جباية المكوس في المراسي وتلك وسيلة بل ذريعة من ذرائع المستعمرين فهذه الاسباب وهي اختلال الامن وفقر الدولة وعجز جيشها بسبب الهزائم التي اصيب بها من الثورات يضاف الى ذلك تنافس دول الاستعمار على استعمار المغرب الخصيب ثم تصالحهم على ان يسمح لايطاليا بالاستيلاء على ليبيا ويسمح لبريطانيا بالاستيلاء على مصر ، وتقتسم فرنسا واسبانيا الاراضي المغربية فتستولي اسبانيا على الجهة الموالية لارضها وهي الشمال وتجعل طنجة ونواحيها دولية وتستولي فرنسا على بقية اراضي المغرب وقد تم لهم هذا الاتفاق في مؤتمر الجزيرة الخضراء المجاورة للمغرب من الاراضي الاسبانية. وكان ذلك سنة 1904 يضاف الى ذلك أن السلطان كان في أول امره طفلا . وكان الحاكم في المغرب الوزير احمد بن موسى . واول ما بدأ به هذا الوزير بعد استيلائه على الحكم الانتقام من الوزير الاكبر في زمان السلطان مولاي الحسن الحاج المعطي الجامعي واخيه محمد الصغير فحبس الحاج المعطي الى ان مات وحبس أخاه زمانا طويلا . وكان عليه ان يجهز الجيوش لاخماد الثورات وان يجتبي الاموال اللازمة لذلك وقد بذل في المحافظة على سلامة الدولة جهدا عظيما ولكن الامر كما قال الشاعر :

متى يبلغ البنيان يوما تمامه
اذا كنت تبنيه وغيرك يهدمه

وقال آخر :

وما يصنع الباني ولمت هادم
فكيف ببان خلفه الف هادم

فهذه الاسباب كلها مجتمعة اضعفت دولة مولاي عبد العزيز وهناك سبب آخر لم تذكره وذلك ان السلطان مولاي عبد العزيز عمل بنصيحة الاوربيين اذ اخذ ببعض الانظمة الاوربية كفرض الضرائب والمكوس المعروفة مراكزها عند المغاربة (بالديوانات) وبعث الطلبة للدراسة في اوربا وتعيين بعض الفرنسيين في المراسي المغربية جباة للمكوس يضاف الى ذلك كون السلطان شابا فتيا لم تحنكه التجارب . وبايع بعضهم اخاه المولى عبد الحفيظ فاستولى على الحكم واستعد لحرب اخيه فتنازل عن الحكم حقنا للدماء لئلا يزداد الخرق اتساعا ووعد السلطان مولاي عبد الحفيظ الشعب المغربي باصلاح كل ما افسده الزمان والاعداء واخوه مولاي عبد العزيز فكان في وعده لهم كما قال الشاعر في عجوز متصابية :

عجوز ترجي ان تكون فتية
وقد لحب الجنبان واحدودب الدهر

تدس الى العطار سلعة اهلها
وهل يصلح العطار ما افسد الدهر

كذلك كانت الدولة المغربية في ذلك الزمان ولا يستطيع مولاي عبد الحفيظ ان يرد لها شبابها . لان ذلك مكتوب عند الله لغيره الا وهو الملك الهمام الذي اجرى الله على يده المعجزات محمد بن يوسف الملقب بالخامس وسليله النابغة جلالة الملك الحسن الثاني الذي كان ردءا له وعضدا في تاسيس الدولة المغربية العصرية . وابدال تلك العجوز الشمطاء

الحيزبون بشابة جميلة فتية وهي الدولة الحضرة وفق الله امامها لاستكمال رد شبابها . وشفاء عللها والله كريم . وما ذلك على الله بعزيز .

* * *

تنازل المولى عبد الحفيظ عن الملك ولم يقض فيه الا مدة يسيرة ذاق فيها الامرين . وخلفه اخوه مولاي يوسف وتوجه مولاي عبد الحفيظ الى المشرق وزار البيت الحرام ومسجد الرسول عليه الصلاة واسلام واحسن الى المغوزين من المغاربة في تلك البلاد . ثم رجع الى اسبانيا وسكنها مدة من الزمان . واخبرني بعض اهل مجريط (مدريد) والعهدة عليه انه كان متبذرا فضاق رزقه فطلب الالتجاء الى فرنسا . فاجابته الى ما طلب . واجرت عليه راتبا الى ان توفي بها . واما السلطان مولاي يوسف رحمه الله فانه كان متمسكا بالدين محبا لاهل العلم مجالسه عامرة بالمذاكرات العلمية ، ومن مزاياه التي اطلعت عليها في السنة التي اقمتها في وجدة في زمان حكمه وذلك ان الاديب الشاعر ذا التاليف العديدة الشيخ احمد الشكيرج دعاني وانا مستقر بالجزائر لتعليم ابنه السيد عبد الكريم الشكيرج وابن اخيه السيد عبد السلام الشكيرج الادب العربي فقد كتب الي قائلا : انا لا اثق باحد في تعليم الادب لابني وابن اخي الا بك. وكانت الطريقة التجانية تجمعنا هو شيخ مقدم فيها وانا كنت متمسكا بها،حتى سنة 1340 للهجرة النبوية وفيها التقيت بالعالم الاديب المنقطع النظير المجاهد الوطني الذي وقف في وجه الاستعمار الفرنسي بحزم وشجاعة في وقت لم يكن احد فيه يستطيع ان ينبس ببنت شفة ، عصى امر المرشال اليوطي المستعمر الغشوم واغلظ له القول فنفاه من بلده سلا الى وجدة ، في تلك السنة علمت ان السلطان مولاي يوسف رحمه الله اعتنى عناية منقطعة النظير بتوحيد الصوم والافطار بطريقة فقهية دقيقة . وبيان ذلك انه كلف جميع القضاة فيما كان يسمى بالمنطقة السلطانية من المغرب ان يصعدوا الى المنارات قبل غروب شمس التاسع والعشرين من شعبان ومعهم المشهورون بحدة البصر في ذلك البلد . وطبيب عيون ، وعالم فلكي . فاذا راى احد اولئك الرجال الهلال بعد ما يعين له الفلكي مطلعه ، يقول الطبيب اره رفقاءك فان راوه ابرق القاضي ومن معه من العدول الى السلطان بشهادتهم . وان رآه واحد ولم يره الآخرون فحص الطبيب عينيه وعيون رفقائه . فان وجده أقوى بصرا منهم أقره على شهادته واعترف بها . وان رآه مثلهم او دونهم في الابصار رد شهادته وحكم عليه بالوهم . وفي نصف الليل تجتمع عند السلطان الحكيم مولاي يوسف بن الحسن رحمه الله برقيات كثيرة فيحكم هو وعلماؤه بالصيام او الافطار او عدمهما وهذا الصنيع لم اسمع به عن احد من الملوك ولا قراته في كتاب وهو ابو البطل الاكبر الذي حرر الله على يده بمشاركة ولي عهده صاحب الجلالة الحسن الثاني جميع البلاد المغربية من العبودية من حدود شنقيط الى حدود مصر اذ لم ينل احد من الملوك والرؤساء بلاء يشبه ما ابلاه هذان المجاهدان فله لم لهما يرجع الفضل في استقلال المغرب الاقصى وموريطانيا والجزائر وتونس وليبيا ايضا . ولذلك لم تعجب شعوب العالم بجهاد رئيس او ملك في هذا الزمان مثل ما اعجبت بسليل مولاي يوسف رحفيده ولا ينبئك مثل خبير ، فانني كنت مستوطنا العراق في وقت تنازل المجاهد الاكبر محمد الخامس وولي عهده عن العرش الذي يخضع لاستعمار الاجانب الى المنفى القصي وتجرع مرارة الغربة والتجرد عن الجاه ، وكنت اسافر كل سنة الى الهند ثم سافرت الى اوربا ووجدت جميع الشعوب في دهشة عظيمة بهذا العمل العظيم ، وبهذا العمل الجليل ارتفع عنا الذل نحن معشر المغاربة المبعدين عن وطننا فانني كلما لقيني انسان من اي جنس كان ، كان يسالني عن وطني . فاقول : انا من المغرب فيبادرني بقوله انت من المغرب الفرنسي ام من المغرب الاسباني ، ام من طنجة الدولية ؟ فاقول ان المغرب مملكة واحدة عريقة في الشرف فقدت استقلالها ، وسيعود لها ان شاء الله فيسخر مني ويضحك ويقول : دعنا من الاساطير البالية فلا اجد ما اجيب به وكذلك قال لي نائب رئيس الوزراء العراقي سنة 1934 ، بتاريخ النصارى، حين اراد ان يمنحني الجنسية العراقية فقال لي ما هي جنسيتك الحاضرة ؟ قلت مغربية . فقال لي هذا كلام فارغ قل فرنسية فاظلمت الدنيا في عيني وغضبت ولم اعد ادر من اخاطب فقلت له هل انت قبل سنتين اي قبل تحصيل الاستقلال الاسمى اللفظي كنت انجليزيا وكان معي الاستاذ كمال الدين الطائي من كبار علماء المذهب الحنفي في بغداد فاعتذر لنائب رئيس الوزراء وجذبني حتى اخرجني من مكتبه ولامني اوما خفيفا على تلك الجراة . فقلت دعه يفعل ما يشاء ونسيت ان اقول اني قلت لذلك الرئيس في وقت الغضب

«أمبير شرفين» معناه الامبراطورية الشريفة فهل كتب عليه الامبراطورية الفرنسية فاكتفى ذلك الرجل فى الانتقام مني بأن كتب على اوراق الطلب التي شغلتني اربعة اشهر ، شهرين فى البصرة وشهرين فى بغداد كلمة – مرفوض – ووقع تحتها فلم تدم تلك الوزارة فى الحكم الا اثني عشر يوما ثم سقطت وكانت وزارة جميل المدفعي فجاءت بعدها وزارة علي جودة الايوبي ومنحتني اجنسية العراقية فى ثلاثة ايام بشفاعة صديق شهم . ومنذ ثار البطل العظيم محمد الخامس وسليله جلالة الملك الحسن الثاني على الاستعمار الفرنسي لم يعد أحد من اى جنس كان يتحرا على السخرية منا معشر المغاربة المغتربين بل كان الناس ينظرون الينا بعين الاجلال والاكبار فاذا سئل الواحد منا عن وطنه فقال انا مغربي يبادره السائل انت من بلاد المجاهد محمد الخامس . لله دره ، ما رأينا ملكا مثله . ثار فى وجه الاستعمار واسترخص عرشه من اجل دينه ووطنه وهذا الامر لا يعرفه الا من ذاقه من المغتربين المبعدين عن وطنهم المغربي ، اما المغاربة الذين لم يبعدوا ولم يخالطوا الشعوب المختلفة فانهم وان كانوا مجمعين على اكبار عمل هذا المجاهد البطل فانهم لم يذوقوا ما ذقناه نحن من مرارة السخرية اولا وحلاوة التكريم بعد تلك الثورة المباركة فرحم الله المجاهد ابا الحسن وبارك فى المجاهد الحسن.

* * *

أجتماع كاتب هذا المقال بالسلطان مولاي عبد العزيز بن الحسن رحمهما الله

كل ما كتبته من قبل فهو مما قرأته فى الكتب، أما ما احدث به الآن فهو حديث مشاهدة وسماع فى شهر مارس من سنة 1942 ، ارسلني الاستاذ المجاهد صاحب الفضيلة الشيخ محمد أمين الحسيني من برلين الى تطوان ، واتماما للفائدة اقول ، ان هذا الاستاذ المجاهد كان مع الاستاذ رشيد عالي الكيلاني نسبة الى الشيخ عبد القادر الكيلاني رحمهما الله هكذا ينطق به اهل العراق بالكاف نسبة الى كيلان قرية من بلاد الاكراد فى شمال العراق ، ارسلني للاجتماع بالزعيم عبد الخالق الطريس لامر فيه مصلحة للمسلمين وكان سفري بجواز ارسله الي الزعيم المذكور من تطوان على اني من اهلها بعد ما نزعت مني الجنسية العراقية بائتمار كاذب بين سفير العراق فى رومة مراحم الباجيجي مع السفير الانكليزي فى رومة بدون علم الحكومة العراقية لاني اذيت الحكومة الانكليزية بالاحاديث التي كنت القيها من اذاعة برلين العربية دفاعا عن وطني لا تكليفا من الالمانيين ولما وصلت الى تطوان كنت جاهلا بالاستعمار الاسباني والفرنسي وحاجتهما الى التملق وبدونه تعتريهم الشكوك فنزع مني مدير الشرطة الاسباني ذلك الجواز باعتباره انه مزور وقد بسطت هذا الخبر فى كتابي (الدعوة الى الله) فاضطررت ان ابقى فيما كان يسمى بالمنطقة الاسبانية فاضطررت الى البقاء فى تطوان وما حولها فيما كان يسمى بالمغرب الاسباني. من الاراضي المغربية الى سنة 1947 . حين تيسر لي الرجوع الى العراق . وفى هذه السنة سنة 1942 . اجتمع الزعيم عبد الخالق الطريس بالسلطان مولاي عبد العزيز الذي كان قد اتخذ طنجة مقرا له بعد اعتزال الملك فجاءني الزعيم عبد الخالق الطريس بتحية من السلطان مولاي عبد العزيز فعزمت على زيارته وقال لي الاستاذ عبد الخالق الطريس ما عليك الا ان تأتي وكيل مولاي عبد العزيز فى طنجة وهو يوصلك الى قصره فى الجبل بالسيارة فتلقاني رحمه الله بغاية الترحيب والفرح وقال لي كنت اسمع برحلتك الواسعة وكنت احب ان اراك فجلست عنده قدر ساعة وكان طويلا ابيض ذالحية وافرة الا انها مقصوصة الاطراف فتحادثنا وحدثته بما جرى لي فى اسفاري ومحاربة الاستعمار الانكليزي والفرنسي اي دفاعي عن وطني وتحدثنا ايضا فى العقيدة السلفية فى توحيد الاسماء والصفات وتوحيد العبادة بالتبرؤ من عباد القبور . وتوحيد التوجه الى الله تعالى بلا واسطة . وتوحيد اتباع سنة الرسول عليه الصلاة والسلام بغير تقليد ولا تمذهب فوجدته راسخ العقيدة فى السلفية قدس الله روحه واخبرني ان استاذه فى العقيدة السلفية هو العالم السلفي المحدث المحقق الشيخ عبد الله السنوسي رحمه الله ، واخبار هذا الامام كانت معروفة عند أهل طنجة وشمال المغرب وساذكر طرفا منها باختصار لان المقال قد طال واخاف ان هذا العدد الخاص من مجلة (دعوة الحق) الغراء لا يتسع له . من ذلك انه كان يعلن توحيد العبادة واتباع الكتاب والسنة فى جميع مجالسه وستتعجب ايها القارىء اذا اخبرتك انني درست كتب الحديث والاثبات عن شيخنا عبد الرحمن بن عبد الرحيم المبارك بوري الهندي ، مؤلف (تحفة الاحوذي

فيما شرح الترمذي) في خمسة من المجلدات مع المقدمة وقد طبع ونشر ، وذكرني رحمه الله في آخر المجلد الآخر عند ذكر القصيدة التي قرظت به الكتاب بطلب منه عن شيخ شيخنا الامام نذير حسين الدهلوي عن الشيخ محمد اسحاق الدهلوي الى آخر السند . ومن جملة شيوخ محمد اسحاق في اسانيد الحديث الشيخ عبد الله السنوسي وبسط لي اخباره السلطان مولاي عبد العزيز رحمه الله . وقال لي في جملة ما قال ان هذا الشيخ الامام لما حضرته الوفاة ترك خزانة كتبه عندي ولا أدري انا ما اصنع بهذه الخزانة وعند من أودعها لينتفع الناس بها دون ان تصل اليها أيدي اصوص الكتب ، فلم أجد له رأيا ولا أعرف الآن ما ذا جرى على هذه الخزانة واخبرني رحمه الله بأن كتبه هو تركها في فاس .

ولقد حدثني الثقات من اهل طنجة ان المحدث الحجة الشيخ عبد الله السنوسي استاذ السلطان مولاي عبد العزيز سافر الى العرائش وكان له بها محبون يلتمسون منه زيارته لهم حينا بعد حين ليغترفوا من بحر علمه الغزير وكان له خادم جاهل بتوحيد العبادة فلما وصل الشيخ الى العرائش قال الخادم : (أحنا اضياف الله عندك يا للا منانة) معناه نحن ضيوف الله عندك يا سيدتنا منانة ، ومنانة اسم لوثن يعبده الجهال وهو ضريح للمرأة المذكورة فأسرها الشيخ في نفسه وكان من عادة الشيخ ان ينزل عند احد المحبين ويذهب خادمه الى المقهى فيسمر فيه الى وقت النوم حتى اذا رجع يقدم له عشاؤه . اما في تلك الليلة فقال الشيخ لاهل هذا البيت لا تتركوا للخادم عشاء فانه مدعو للعشاء عند بعض الناس ، فلما رجع وجلس ينتظر العشاء كالعادة قال له الشيخ كيف كان عشاء منانة عسى ان يكون جيدا ، فقال له الخادم يا سيدي انا ما تعشيت فقال الشيخ يا عجبا انت طلبت الضيافة من منانة فكيف تركتك بلا عشاء اذهب لتنام فليس لك عشاء في هذه الليلة جزاء لك على الشرك بالله . وحدثني العالم السلفي الورع التقي النقي الاستاذ الشيخ محمد أبو طالب رحمه الله هنا في مكناس ان الفقهاء في فاس كان لهم اجتماع في الضريح الادريسي كعادتهم عندما تدعو الحاجة الى الاجتماع فلما انصرفوا من ذلك الاجتماع لقي أحدهم المحدث الامام عبد الله السنوسي فقال له يا سيدي كنا نرجو أن تحضر معنا في ضريح مولاي ادريس فقال له انت تعلم اني لا أدخل الاضرحة ولا اصلي في المساجد المبنية عليها فقال له ان الشيخ خليلا اباح الصلاة فيها ونحن خليليون ، ان دخل خليل الجنة دخلنا معه وان دخل النار دخلناها معه .

ومن المعلوم ان اتخاذ المساجد على القبور بدعة منكرة ، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي مات فيه لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد يحذر ما صنعوا ولولا ذلك لأبرز قبره غير انه خشي أن يتخذ مسجدا) . وروى مالك في الموطأ عن زيد بن اسلم عن عطاء بن يسار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد) هكذا رواه مالك في الموطأ مرسلا ، قال الحافظ بن عبد البر ووصله عمرو بن محمد فقال ، عن عطاء بن يسار عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم . فزالت عنه علة الارسال وصلح للاحتجاج على أن هذا الحكم ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه كثيرة وأسانيد صحيحة تكاد تبلغ حد التواتر .

مكناس : محمد تقي الدين الهلالي